

كلمة مؤسس الندوة في الملتقى الذي عقده في ٢٩ كانون الأول ١٩٦٤

بقاعة المحاضرات إحياء لذكرى ميشال شيحا وقدمت فيه

" لبنان في شخصيته وحضوره " إلى الصحافة.

أيها الحفل الكريم، أصدقائي الصحفيين،

أن تحيي الندوة ذكرى العظام من لبنان، ذلك واجب من واجباتها القومية. وأن تختار من بين هؤلاء العظام المتفوقين فكراً وأدباً، ذلك جانب من جوانب رسالتها الثقافية. ثم أن يحملها الإختيار الى الأصدقاء ممن اعتلوا منبرها محاضرين ورعوا نشاطها بالتعاقد مع الخيرين من أعضاء مجلس أمنائها، فتلك بادرة وفاء تعتبط بالقيام بها تعبيراً عن الجميل الذي تحفظه لهم جميعاً.

والكبير الذي نلتقي اليوم على الذكرى العاشرة لوفاته جميع العظمة من أطرافها : فهو كان للوطن من بناته، وللرأي من مبدعيه وموجهيه، وللفكر في طليعة حملة مشعلة، وللندوة صديقاً عاطفاً فاعلاً.

ومما يزيد في غبطة الندوة في هذه الذكرى العاشرة هو أنها بعد أن كانت تحييها وحدها في السنوات الماضية ترى أن الزرع قد أخصب وأن سبل الأبناء جميعاً من صحافة وإذاعة وتلفزيون أخذت تشاركها في عملها وأن التلاميذ في المدارس بدأوا يتبارون حول التوسع بالآيات التي خلدتها مؤلفات ميشال شيحا وكان أوله كتاب فلسطين بالفرنسية ثم بالعربية مترجماً بقلم انطوان غطاس كرم ترجمة أنيقة رفيعة، إن ذلك أخذ يفعل في النفوس، فإذا الغائب الذي نجتمع باسمه الساعة حاضر ملء لبنان وإذا تفكيره، على حد قول معالي الأستاذ فيليب تقلا، "قد تحوّل روحاً محبباً يشيع اليوم في حياتنا نهجاً للعاملين وتقليداً نلتزمه في كل حادث جل".

قلناها يوم كرمته الندوة حياً في هذه القاعة بالذات في كانون الأول عام ١٩٥٤ - وكان قد نال لقب دكتور شرف من جامعة ليون وقلدته الحكومة اللبنانية وسام الأرز من رتبة ضابط أكبر - ، ورددناها بعد وفاته لمناسبة إحياء جمعية أهل القلم ذكراه في حفلة نظمتها هنا أيضاً، ورددتها معنا المفكرون الواعون السابقون في العديد من المناسبات الكلامية والكتابية، قلنا : إن ميشال شيحا هو المعلم الأول للتفكير اللبناني الصحيح. إنه عايش لبنان، طوال نصف قرن من سن الرشد على حد قوله، عايشه في جسده وقلبه وعقله، عايشهم عايشة يومية بجهد تفكيره وبما اكتسبه من قراءات عنه وفيه وحوله، فمكنته تلك المعيشة من أن يستمر مدى ثلاثين سنة في العمل المتواصل على تبيين خصيته وعلى تركيز حياته السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية على الأسس التي تتوافق وتاريخه العريق وأوضاع العالم الحاضرة والتطلع الى المستقبل الأبهى لشعبه.

ويسأل سائل " هل كان شيحا وحده في المعترك ؟ فنجيب بأنه تفرّد باحتلال مكان القيادة يرسم الخطة ويوجه المعركة في آن واحد. إنه كان المهندس اللبناني وفي الوقت نفسه القائد المدافع عن البناء، وهذا ما لم نعرفه في غيره.

ويسأل سائل " بما أنه كان المعلم، فأين أتباع مدرسته ؟ فنجيب : في الواقع أنه خلق مدرسة، شاعت تعاليمها في النخبة من المعقول. ولكن ممّا يؤسف له أن هذه العقول لم تستخدم القلم لبيت الرسالة. إنما يشفع بها، وقد قبضت على زمام الأمور فترة لا يستهان بطولها، إنها اعتمدت في عهد حكمها مبادئ ميشال شيحا فطبقتها في سياستنا الداخلية والمالية والإقتصادية والخارجية العربية والأجنبية. وهي لم تنحز عنها يوماً إلاّ وبان الإرتباك في حياتنا الوطنية العامة.

ثم إن الرجل كان نسيج وحده، كان من طينة الأنبياء يصرخون نداداتهم وعلى الأذان أن تسمع إن هي أصغت وأخلصت وتسامت عما يدغدغ قشرتها الى العميق من النبرات المحيية.

وتسألون : الآن وبعد انقضاء سنوات عشر على آخر ما خطه قلم ميشال شيحا، فهل تستمر ثمرات أفكاره قائمة فاعلة حيال التطور والتقدم وتضاعفات ما جرى ويجري، فنجيب : الأساس نجده دوماً وأبداً في ما خطه ذاك القلم. والأساس هو الأهم. الأهم في أن تبرز لنا شخصية لبنان على حقيقتها. وهي متى وضحت واستقرت في المعتقدات والضمائر، يبقى على العقول النيرة أن توافق بين المبادئ والأحداث أو الحالات العارضة. وهذا ما ألمح إليه صاحب الفخامة الرئيس شارل حلو عندما تشرّفنا بلفياه أمس لنقدّم اليه النسخة الأولى من الكتاب موضوع اجتماعنا اليوم وهو مهدي الى فخامته، ألمح اليه قائلاً : نفتقدنا الكبير لنرى منه تطبيق مبادئه على المضاعفات الحاضرة. وكان جوابنا : إن ما يطمئننا في هذه الفترة بالذات بعد غياب ميشال شيحا هو أنكم يا صاحب الفخامة كنتم تشاركونه في تفكيره والآن ها هي مقدرات لبنان قد عمدت الى يديكم فاخترتهما ملاذاً وهدى قيادة. إن حكمتكم ستقود السفينة الى الشاطئ الأمين معتمدة الأسس المتينة التي تضبط الرياحوتكبح جموح الأمواج وتستهدي المحبة قبل كل شيء. وعقولنا وسواعدنا وقلوبنا الى جانبكم في خدمة لبنان.

أيها الصحفيون الأحياء ،

أنتم والعائلة الندوية مجتمعون الآن تحت شعار الكلمة. الكلمة أطلقها ميشال شيحا أول ما أطلقها زميلاً لكم في جريدته "له - جور" . ثم بثها هنا على منبر الندوة فتلقفها بشغف رواد قاعتنا، ثم طالعها بالفرنسية قراء مجلتنا، ثم عمل ندوى من بيننا هو خليل رامز سركيس على إشاعتها عند قراء العربية في لبنان وفي شقيقاته العربيات وفي دور الإستشراق بأن ألبسها ديباجة من لغة الضاد متألفة. ومنذ سنتين هذا حدوه قلم عربي آخر ممتاز هو فؤاد كنعان فترجم محاضرات ميشال شيحا عندنا بأسلوب جميل يستسيغه كل ذواق أديب. واليوم نسرّ بأن نقدم اليكم هذه المحاضرات مجموعة في كتاب واحد باللغة التي ألقاها ميشال شيحا فيها، بفرنسية تضاهي أناقة وجمالاً وإيجاز عمق لغة كبار الأدباء الفرنسيين.

هو ميشال شيحا نفسه من قال : مسرح لبنان هو الكون. وما دام العالم يأتي إلينا بوصفنا طريقاً حتمياً من طرقه وملتقى من ملتقيات منذ أقدم العصور، فعلينا أن نأتيه ونلتقيه تحت كل سماء وبكل لغة. بالأمس أطلقت الندوة كتاب ميشال شيحا "لبنان في شخصيته وحضوره" بالعربية لكل مواطن في لبنان ولكل أخ عربي، واليوم نطلقه بالفرنسية لمواطنينا من قرائها ولكل قارئ لها على الأرض، وفي نيتنا أن نطلقه السنة القادمة بالانكليزية لتعريف وطننا في حقيقته التاريخية للعالم الانكلوسكسوني، ومن بعدها بالإسبانية والبرتغالية للمغتربين الأحياء وأبنائهم وحفائهم عبر كل البحار.

منبر الندوة هذا حق للكلمة الفاعلة. ورسالة الندوة أن تطلق الكلمة بكل لسان وتحت كل سماء فلتعش كلمة ميشال شيحا في قلوبنا جميعاً، وإننا لمثيلاً عمقاً وجمالاً ولبنانية لمرافقون حيناً ومرتبون حيناً آخر، ولخدمتها أبداً متجددون لأن الكلمة في البدء كانت واليه يعود المؤمنون.

ميشال أسمر

مؤسس الندوة